

أثر الأدب العربي في الأدب الغربي (الأدب الإسباني أنموذجا)

*The influence of Arabic Literature on Western:
Literature (Spanish Literature as a model)*

عبد الهادي بوراس

جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر(2)، الجزائر

Abdelhadi.bouras@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2026/03/31

تاريخ القبول: 2026/03/07

تاريخ الإرسال: 2025/04/24

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استقصاء حضور الأدب العربي في المخيال الغربي بوصفه امتداداً نصياً وثقافياً عميق الأثر، من خلال تحليل كتاب أثر الإسلام في الأدب الإسباني للباحثة الإسبانية لوثي لوبيث، الذي يمثل مرجعاً محورياً في مقارنة علاقة الأدب العربي بنظيره الأوروبي. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي المقارن، القائم على تتبع أنماط المثقفة الأدبية بين الضفتين العربية والأوروبية، وتحليل البنى الرمزية والسردية التي انتقلت من النص العربي إلى المتون الغربية عبر عمليات الاقتباس والتحوير وإعادة التوظيف. انطلقت الإشكالية من سؤال جوهري حول مدى إسهام الأدب العربي في تشكيل الحس الجمالي الغربي، من الأندلس إلى فضاءات الأدب اللاتيني الحديث. خلص البحث من خلالها إلى أن التأثير العربي لم يكن ظاهرة عارضة أو محدودة، بل بنية ثقافية أصيلة أسهمت في تأسيس الوعي الأدبي الأوروبي، إذ تجلّى أثره في نماذج إبداعية متعددة مثل الرمزية الصوفية في الأدب الإسباني، والرومانسية الفرنسية، والبناء الحكائي في الأدبين الإنجليزي والإيطالي، وصولاً إلى التحليلات الصوفية في الأدب البرازيلي. وتؤكد النتائج أن الأدب العربي مثل أحد المكونات الجوهرية في بناء المخيال الغربي وتطوره.

الكلمات المفتاحية:

الأدب العربي، الأدب اللاتيني، المثقفة، لوثي لوبيث

Abstract:

This study examines the textual and cultural continuity of Arabic literature within the Western imagination through an analytical reading of *Traces of Islam in Spanish Literature* by Luce López. Using a comparative analytical approach, it traces how Arabic symbols, themes, and narrative forms migrated into European and Latin literatures and were reshaped within their cultural contexts. The research addresses how Arabic literature contributed to the formation of Western aesthetic and intellectual frameworks from al-Andalus to modern Latin America. The findings confirm that Arabic literary heritage served as a foundational source in shaping the symbolic and narrative imagination of Western literature.

Keywords:

Arabic Literature ; Acculturation ; Latin Literature, , Lucía López

1. مقدمة:

إن مساءلة التاريخ عن دور الإسلام في بناء الحضارة، تكشف لك عن ملامح حضارة متكاملة المعالم مترامية الأطراف، بدأت ملامحها من بداية الرسالة المحمدية، مشككة قوة حضارية مازالت معالمها تصيب بالدهشة، ومن غير المعقول أن تنطوي صفحة هذا التاريخ العريق دون أي أثر في الأمم الأخرى، فالمغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب، وليست الغلبة غلبة تجر، إنما هي غلبة معرفة وتطور في شتى المجالات؛ الطب، والعمران، والفلك، والكيمياء، وغيرها من المعارف، فالمكتبة الواحدة في قرطبة تحوي حوالي أربعة مئة ألف مخطوط.

فكانت الأندلس المصدر الرئيس للتعليم الجديد لأوروبا الغربية، فتأثروا بمعارفهم، وترجموا أعمالهم، كترجمة جبرارد الإيطالي لأعمال ابن سينا، والفارابي، والكندي، وترجمة روبرت الإنجليزي لأعمال الخوارزمي، وامتد التأثير إلى نفوسهم، فانعكس على لغتهم، كونها لم تتمثل على الألسنة إلا بعد أن تمثلت في أحوال المعيشة، ونوازع الإحساس والتفكير.

وما كان للأدب العربي بسماته الفريدة أن يبقى بعيداً عن التأثير في الآداب الأوروبية وفي أذواقهم. ونماذج التأثير كثيرة تدل على قيمة الأدب العربي وأثره في الآداب العالمية، غير أن الحديث عن ملامح الأدب العربي في الآداب الأوروبية لا ينبغي أن يقف عند حدود نقل الشهادات، إنما يحتاج إلى تعزيزه بتتبع ملامحه في نماذج أدبية غربية، وهو ما حاولت رصده في هذا البحث انطلاقاً من السؤال التالي: إلى أي مدى بلغ تأثير الأدب العربي في الآداب اللاتينية عموماً والأدب الإسباني على وجه الخصوص؟

بدأت هذه الدراسة بمسح تاريخي لأثر علوم المسلمين وابتكاراتهم في أوروبا، وانعكاس هذا التأثير على لغتهم وأذواقهم، ما جعله مادة لأدباء أوروبا وأمريكا يستلهمون منها الأفكار وأساليب التعبير. وضعني ولعهم ذاك بابتكارات المسلمين وإدبائهم أمام فرضيتين؛ الأولى هجرة شخصيات وأحداث الأدب العربي إلى الآداب الأوروبية واللاتينية؛ إذ المتعاليات النصية تتسرب إلى كتابات المبدع بقصد أو بغير قصد، والثانية تطور الشخصيات والأساليب وانطباعاتها بطابع أوروبي.

وانطلاقاً من الفرضيتين هدفت في هذه الدراسة الموسومة بأثر الأدب العربي في الأدب الغربي - الأدب الإسباني نموذجاً - إلى تحليل نماذج من الآداب اللاتينية في محاولة للكشف عن مواطن التأثير فيها بالأدب العربي، وتحديد طبيعة نقلها، واتخذت من كتاب أثر الإسلام في الأدب الإسباني للكاتب لوثي لويث نواة ومنطلقاً للدراسة.

2. تأثير الأدب العربي في الآداب الغربية:

اتسع امتداد أثر الأدب العربي ليشمل جل الثقافات إن لم نقل كلها، سواء بالتأثير المباشر، أو غير المباشر، وبقدر توسيعنا لدائرة البحث تتسع دائرة أثر الأدب العربي في الآداب العالمية، وفي هذا الجزء من البحث تتبعت أثر الأدب العربي في نموذجين مختلفين جغرافيا تمثلا في الأوروبي؛ الفرنسي والإنجليزي والإيطالي، والأدب الأمريكي لاتيني ممثلا في الأدب البرازيلي، ليتضح من خلاله المدى الذي بلغه تأثير الأدب العربي.

1.2 أثر الأدب العربي في الأدب الفرنسي:

نتمثل ملامح أثر الأدب العربي في الأدب الفرنسي في انتقال أشعار التروبادور -التي يعود أصلها للعرب، وهي تحريف لكلمة المطربون- من الأندلس إلى فرنسا -بعد ترجمته على يد كالان سفير فرنسا في الأستانة- ما ساعد على خلق روح رومانسية في الأدب والفن، وإيجاد أسلوب قصصي جديد في النقد، وهو الإيماء إلى ملك الكنيسة برموز شرقية، وإلباس الأوضاع السائدة في فرنسا في القرن الثامن عشر ثوبا شرقيا للتهجم على مفاسد البلاط والطبقة الحاكمة في فرنسا، فانتقل ذوقهم من قصص الغول دريندل الذي يُغيّر على قصر مروتجار، إلى الذوق الرومانسي والواقعي.

بدأ ظهور ملامح الثورة الأدبية الأوروبية من خلال ثورة الكاتب الإسباني ميغيل دي سارفانتس على قصص أماريس دي جولا التي استمد معالمها من الثقافة العربية؛ فقد ذكر أن أصلها يعود لمخطوط عربي لسيدى حامد بن إنجيلي، بأسلوب تهكمي هو الآخر عربي الأصل، فظهرت عدة أعمال أدبية خالدة استمدت فكرتها من التراث العربي، فتأثر راسين في مسرحية فيدر، وفولتير في قصة صادق بحكايات ألف ليلة وليلة، وتأثر لافونتين بكليلة ودمنة.

ويُعتبر لويس أرغون من أكثر الكتاب الفرنسيين تعلقا بالثقافة العربية؛ إذ نراه ينقل قصة مجنون ليلى إلى الأدب الفرنسي في ديوان سماء مجنون إلسا "Le Fou d'Elsa" وكان أرغون على وعي دقيق بحياة قيس بن الملوح، فذكر قصة تغييره للقبلة¹، وهو يقصد بذلك أبيات قيس بن الملوح:

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَمْتُ نَحْوَهَا بَوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمَصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنَّ حُبَّهَا وَعَظَم الْجَوَى أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا

والمأمل في أسلوب لويس أرغون يجد ملامح أسلوب قيس بن الملوح بارزة في أشعاره.

2.2 أثر الأدب العربي في الأدب الإنجليزي:

بلغ امتداد سمات الأدب العربي إلى الأدب الإنجليزي، فتأثر شكسبير في مسرحية عطيل، وشوسر في قصص كتربري بألف ليلة وليلة، وفي دراسة لجامعة تعز بعنوان "من الصحراء العربية إلى مسرح لندن: عطيل وشكسبير، وعنترة بن شداد" أثبت أثر قصة عنترة بن شداد في مسرحية عطيل؛ فكلاهما يدور في جو مليء بالحروب، وكلاهما أسود اللون، ومن الباحثين من يرى أن اسم عطيل تحريف لعبيد الله، وكل من عطيل وعنترة يتسمان بقوة بدنية تمكنهما من القيادة، ثم إن شخصية شيبوب تشبه شخصية كاسيو صديق عطيل²، كما تأثر دانيال ديفو في روبنسون كروز برسالة حي بن يقظان، آخذاً الفكرة الأساسية المتمثلة في عيش البطل في جزيرة يكشف فيها ما يدور من حوله، وكان المستشرق الإنجليزي كلوفيد إدموند بوزوث مولعاً بقصة حي بن يقظان يرى أنها أعمق عمل فلسفي، كان له أثر مستمر على الأدب الإنجليزي والتكوين الفكري في إنجلترا، ولم يكن التأثير وقفاً على النثر دون الشعر، فشاعر ملك إنجلترا من سنة 1850م إلى 1892م ألفرد تنسيون يقول: «إن ترجمة السير ولیم جونز النثرية للمعلقات ألهمته بفكرة القصيدة»³.

3.2 أثر الأدب العربي في الأدب الإيطالي:

بدأت ملامح الأدب العربي تبرز في ساحة الثقافة الإيطالية مع الشاعر الإيطالي دانتي في ديوانه الملحمي "Divina Commedia"، أو الكوميديا الإلهية، التي يقلد فيها رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والتي يرجع أصلها إلى رحلة المعراج، فبدأ بذلك سلسلة التأثير التي جسدها بوكاشيو "Giovano Boccaccio" في حكايات "Il Decameron" أو الصباحات العشر، وملخص القصة أن عشرة من الفتيان والفتيات خرجوا في سباحة إلى ضيعة قريبة من مدينتهم، وبعد وصولهم بلغهم خبر انتشار مرض الكوليرا في مدينتهم، فقرروا البقاء في الضيعة، ونصّبوا كل يوم أميراً عليهم، يأمر كل واحد منهم أن يقصّ قصة كل يوم، ليكون مجموع القصص في اليوم عشر قصص، ودام بقاؤهم عشرة أيام ما يعني أن عدد قصص الكتاب مئة قصة، فالملاحظ من البداية أن بناء القصة يتكون من مجموعة قصص داخل قصة واحدة، وهو ذاته البناء الفني لحكايات ألف ليلة وليلة، وما يسمى بحكاية الإطار، والحكايات الداخلية، فحكاية الإطار هي خروج الفتيان والفتيات، وانتشار مرض الكوليرا.

أما الحكايات الداخلية فهي ما يسرده الشبان كل ليلة، وحكاية الإطار في ألف ليلة وليلة هي قصة الملك شهریار مع شهرزاد، والحكايات الداخلية؛ هي الليالي التي تحكيها شهرزاد، ويمتد التأثير في الليالي العشر إلى الاقتباس من القصص العربية، ومن الشواهد على التأثير قصة فيردريكو الذي أحب سيدة اسمها جيوفانا، لكنه لم يتزوجها، ولحزنه اتخذ صقراً مؤنساً له، إلا أن ابن جيوفانا أحب صقر فيردريكو لدرجة المرض، فجاءت جيوفانا تطلب منه أن يعطيها الصقر لابنها، لكن فيردريكو كان في فاقة من أمره، ولما استقبلها لم يجد ما يضيّفها به فذبح لها، وجوهر القصة مستمد من قصة حاتم الطائي، حين زاره حاجب ملك الروم ليطلب منه أن يعطيه فرسه هدية

للملك، ولما وصل الحاحب إلى الطائي استقبله وذبح له فرسه؛ إذ لم يجد ما يضيّفه به، فقال: «هلا أعلمتني قبل الآن فإني قد نحرمتها لك إذ لم أجد جزورا غيرها بين يدي»، وهو ذاته قول فيرديركو لجيوفانا «حين عرفتُ بتفضلك لزيارتي للغداء معي، فكرت في أجد شيء يمكن أن أقدمه لك، فلم أجد أحسن من أن أذبح الصقر»⁴.

وفي الحكاية الرابعة من اليوم السابع من الديكاميرون، يحكي أن امرأة كانت تخرج في الليل بعد مغافلة زوجها، ولما تنبه لها أغلق عليها الباب، وبعد عودتها ويأسها من فتحه للباب، هددته برمي نفسها في البئر، وأوهمته بأنها رمت نفسها بعد أن رمت حجرا في داخله، فلما سمع صوت الحجر خرج، فدخلت وأغلقت الباب، والقصة في الأصل هي قصة جحا مع زوجته، وفي الحكاية السادسة من اليوم السابع تدور حول خيانة مادونا إيزابيلا لزوجها ليونو، هي نفس قصة خيانة زوجة جحا لزوجها، لم يغيّر فيها بوكاشيو إلا أسماء الشخصيات، وأمثلة التأثير في حكايات الديكاميرون كثيرة، فالجزء الثاني من الكتاب مستمد من التراث العربي، وذلك أن القصة الثالثة من اليوم السابع تشبه قصة جميل بثينة في إحدى زياراته لخدرها، وقصة اليوم الثامن تشبه في جوهرها قصة الفرزدق، وعلى الرغم من التشابه في الإطار الخارجي والقصص الداخلية، إلا أن ألف ليلة وليلة تفوق الديكاميرون فنيا، لأن القصص الداخلية في ألف ليلة تخدم حكاية الإطار؛ إذ تساعد شهرزاد في الحفاظ على حياتها، أما حكايات الليالي العشر فلا تؤدي وظيفة فنية.

3. أثر الأدب العربي في الأدب البرازيلي

إن كتاب الباحثة الألمانية زغريد هونكه "شمس العرب تسطع على الغرب" يمثل حقيقة مقدار توسع أثر الأدب العربي في الآداب العالمية؛ فأشعة الشمس تسطع على غالب الأرض، والأمر ذاته بالنسبة للثقافة العربية، ثم إن العقاد كان دقيقا في تحديده لعنوان الكتاب الذي وسمه بأثر العرب في الحضارة الأوروبية؛ إذ لم يقل أثر العرب في أوروبا إنما خص الحضارة لبيتين قيمة الموروث العربي الإسلامي في نشأة الحضارة الأوروبية، ومن الطبيعي أن تبلغ شمس العرب إلى القارة الأمريكية مؤثرة وملهمة كبار الكتاب، فرواية "The Premature Burial" أو "الدفن قبل الأوان" للروائي الأمريكي إدغار آلان بو «وصف بحث للثقافة العربية، ورواية "O Alquimista" أو الخيميائي للكاتب البرازيلي باولو كويلو هي الأخرى مزيج من الملامح العربية جمعها في روايته التي تمثل رائعة من روائع الأدب العالمي.

هذا ويعتبر باولو كويلو واحدا من الشغوفين بالثقافة العربية الإسلامية، والظاهر أنه استمدّها من عيشه في إسبانيا التي عاش فيها ردحا من الزمن كما يقول، ولامح الثقافة العربية غير خافية في أعماله، وهو لا يحدد فضلها عليه فيقول: «وفيما يتعلق بي، فقد كانت الثقافة العربية إلى جانبي خلال معظم أيام حياتي، تُبين لي أمورا لم يستطع العالم الذي أعيش فيه أن يفقه معناها»⁵.

وإذا ما وقفنا عند قوله "تين لي" ندرك مقدار الأثر الذي أحدثته الثقافة العربية في توضيح قيم ومفاهيم لم يجدها في غيرها، لكن السؤال المطروح، ماذا وضحت له الثقافة العربية؟ وأين تبرز ملامح التأثير؟ إن أول ما تلاحظه في رواية الخيميائي أن باولو يستهل كتابه بقصة لأوسكار وايلد عن قصة أسطورة نرسيس الفتى الجميل المفتون بالنظر إلى نفسه في البحيرة، حتى سقط بها ومات غرقاً، ويزيد أوسكار على الأسطورة بأن ربات الغابات وجدوا البحيرة تبكي، فقالوا لها: هل تبكين لفقد نرسيس الجميل؟ فقالت البحيرة: هل كان نرسيس جميلاً! إنما أبكي لأنني كنت في كل مرة ينحني فيها على ضفائي، أرى انعكاس جمالي الخاص في عينيه⁶، ما يجعلك تتساءل عن سبب توظيفه لهذه القصة خصوصاً حين تكتمل ملامح الرواية؛ إذ لا علاقة بين موضوع قصة الخيميائي، وبين قصة أوسكار وايلد.

ولكن متى ما عرفت أصل قصة الخيميائي، عرفت مقصد كويلو من هذا التوظيف، وملخص رواية الخيميائي تدور حول الفتى سنتياغو الذي يمارس مهنة الرعي، وتبدأ أحداث القصة بعد رؤيته لنمام تحت شجرة الجميز رأى فيه طفلاً يلهو مع نعاجه فترة من الوقت، وفجأة أمسك بيده وقاده حتى أهرامات مصر، قال له إذا جئت إلى هذا المكان تجد كتراً مخبوءاً، وبعد جملة من التحديات والصعاب يصل سنتياغو إلى الأهرامات، فيعترضه مجموعة من اللصوص، ويتعرض للضرب والسلب، ثم يسأله زعيمهم عن سبب قدومه فيقول: «حلمت، مرتين، بكتز، مطمور قرب أهرامات مصر... قال الزعيم: لن تموت ستعيش وتتعلم أن لا ينبغي لنا أن نكون على هذه الدرجة من الغباء، هنا بالضبط حيث تقبع أنت، رأيت حلماً، قبل سنتين تقريباً، راودني غير مرة، فقد حلمت أن عليّ أن أسافر إلى إسبانيا، وأبحث في الريف، عن أطلال كنيسة يتردد إليها الرعيان ليناموا فيها مع أغنامهم، وحلّت فيها شجرة الجميز محل الغرفة الملحقة بالمذبح، حتى إذا حفرت عند جذع الشجرة، أجد كتراً»⁷، فعاد سنتياغو إلى الكنيسة المهجورة، ليجد كتزه، والملاحظ أن هيكل رواية الخيميائي يبدأ بحلم يوصله إلى شخص يرى حلماً، ليتشكل من الحلمين حقيقة، والبناء الفني للرواية مستمد من ألف ليلة وليلة، ففي الليلة الواحدة والخمسين بعد الثلاث مائة، يروى أن رجلاً ضيع ثروته فرأى في المنام قائلاً يقول له إن ثروته في فارس بأصفهان، فسار إليها وبعد جملة من الأحداث وجد نفسه عند ضابط يضربه ويسأله عن سبب قدومه، فأخبره بما رأى في منامه، فضحك الضابط وحدثه أنه رأى في منامه أن له كتراً في القاهرة وراء تينة ولكنه لم يصدق هذه الأكذوبة.

فمصدر رواية الخيميائي واضح، ما يجعلك تدرك أن توظيف باولو كويلو لأسطورة نرسيس قصد منه فكرة التطوير، فكما طوّر أوسكار وايلد الأسطورة، أراد أن يطوّر كويلو من قصة الحلمين، إلا أن باولو لم يطورها إنما وسعها، وأخرجها من القصة إلى الرواية، في حين أن أوسكار أعطاهها بعداً جديداً قلب معنى القصة، ثم إن الأفكار التي سعى باولو كويلو أن يوسع بها روايته هي أفكار مستمدة من ألف ليلة وليلة، ومن الثقافة الصوفية، فشخصية الخيميائي التي يلتقي بها سنتياغو تحمل طابع شخصيات ألف ليلة وليلة التي تتسم بالقوى الخارقة، فنرى

أن الخيميائي المدعو ملكي صادق خرافي يظهر كل مرة في صورة، ويذكر على لسان الرجل الإنجليزي حين رأى واحة الفيوم أنها واحة من عالم ألف ليلة وليلة، وتوظيفه للطابع العجائبي في حوار بين سنتياغو مع الصحراء والريح والشمس، كما نراه يوظف قصة سيدنا يوسف للتأكيد على صحة الحلم الذي رآه سنتياغو، فجاء على لسان شيخ قبيلة الفيوم، والملاحظ أن باولو متأثر بالثقافة الصوفية من خلال تأملات سانتياغو في الصحراء، وترديده لفكرة وحدة الوجود التي نادى بها ابن عربي، فيكثر كويلو من قوله: "الأشياء جميعها ليست سوى تجليات لمظهر واحد أوحد" فباولو متأثر بالجانب الروحي، وهو الذي قصده من قوله علمتني الثقافة العربية أشياء لم يفقهها العالم الذي يعيش فيه، فهو ينتقد المادية الغربية التي جسّدها في شخصية الرجل الإنجليزي المادي؛ الذي اعتقد أن الخيميائي هي تحويل المعادن إلى الذهب، في حين أن المعنى العميق للخيميائي؛ هو الذي يعرف أسرار الإنجاز العظيم ويستخدمها، والإنجاز العظيم هو الكون، فالخيميائي هو الذي يعرف أسرار الكون بالتأمل.

هي ذي بعض ملامح الأدب العربي في الآداب اللاتينية، ومازال مجال البحث واسعا، يحتاج إلى تضافر الجهود في تتبع سمات الأدب العربي، إلا أن النقطة الأساسية التي ينبغي أن نحذر منها، وهي الأثر السلبي الذي يحدثه طول التغني بالأجناد؛ ففي دراسة لمالك بن نبي عنوانها "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" يقسم فيها الاستشراق إلى قسمين: قسم معارض لقيمة التراث العربي، وقسم مؤيد له، رأى فيها أن الاستشراق المؤيد لإنجازات العرب أشد خطورة على الفكر من المعارض، لأن المعارض يحرك البحث ويدفع إلى التقصي للرد على مطاعن الاستشراق، أما المؤيد فيخدر العقل بأجناد الماضي؛ ويجعله هائما في إنجازات من سبقه والتغني بها بعيدا عن الإبداع والتطور، وهو الذي ينبغي أن نحذر منه، حتى لا نقع في الفخ الذي وقع فيه **دونكيشوت**، حين غاب في أبحار الفرسان وانتصاراتهم مهملا حاضره، ولا يراى بذلك إهمال التراث، إنما الاستفادة منه لخلق الجديد من القديم، فليس الإبداع إلا نسيجا جديدا لخيوط قديمة، فكما نسج **بوكاشيو الديكاميرون** من ألف ليلة وليلة، ونسج **باولو كويلو** الخيميائي من حكاية الحالمين، يستطيع العقل الإسلامي أن ينسج من القديم إبداعا جديدا.

4. أثر الأدب العربي في الأدب الإسباني:

مثلت الأندلس حاضرة للعلوم والفنون ومقصدا للعلماء والأدباء، فبقيت آثارهم إرثا تستمد منه الأمم معارفها، وكانت إسبانيا أول المستفيدين من هذا التراث، خصوصا مع المدرسة الجديدة للمستعربين، التي ترجع بداياتها إلى الباحث الإسباني **آسين بلاثيوس** صاحب أول دراسة في تأثير رسالة الغفران على الكوميديا الإلهية لدانتى، وتعتبر الباحثة الإسبانية **لوثي لوبيث** امتدادا للمدرسة الجديدة، واصلت في كتابها "Huellas del Islam en la literatura española. De Juan Ruiz a Juan Goytisolo"، أي "أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو" مشروع المستعرب **آسين بلاثيوس**.

تعدّ لوثي لوبيث امتدادا للمدرسة الجديدة؛ لانطلاقها من مخالفة الدراسات الاستشرافية السابقة الراضة للأثر الإسلامي على إسبانيا، أمثال أورتيجا إي جاست، و رامون مينينديث بيدال، اللذان حاولا رد أي إبداع إلى الميراث اللاتيني والقوطي، إخفاء لقيمة التراث العربي وتقليلا من شأنه، ومن هذا المنطلق تقول لوثي: «من الظلم البين ألا نقبل أن إسبانيا الإسلامية كانت تشكل بالفعل معجزة ثقافية حقيقية في إطار القارة الأوروبية في القرون الوسطى، وبفضل العرب لم تبلغ أي أمة أخرى ما بلغته شبه الجزيرة الأيبيرية من تقدم في العلوم والفنون، في تلك العصور التي كانت مظلمة بالنسبة للقارة الأوروبية، لكنها لم تكن كذلك على الإطلاق بالنسبة للأندلس»⁸ فكان جهد لوبيث أكثر الجهود سعيا في إبراز ملامح الإسلام في روائع الأدب الإسباني، كرمز الطائر الروحاني في كتاب ليلة الروح المظلمة ليوحنا الصليبي، ورمز القلاع السبعة عند القديسة تيريسا وأثره في رواية مقبرة لجويتيسولو.

1.4 رمز الطائر الروحاني عند يوحنا الصليبي:

يعتبر يوحنا الصليبي من أكثر الكتاب شهرة في إسبانيا، ويمثل كتابه "ليلة الروح المظلمة، ومصابيح النار" إبداعا أدبيا لم يسبق إليه، ففي كتابه ليلة الروح المظلمة يتحدث عن طائر روحي له خمس خصائص:

- أولها أنه عادة يكون فيما هو أعلى، وهكذا الروح في هذه الحال تكون في قمة التأمل.
- وثانيها أن الطائر يدير منقاره دائما إلى حيث تأتي روح الحب.
- وثالثها أن الطائر يكون عادة وحيدا، ولا يسمح بأي طائر آخر إلى جانبه، وهكذا الروح فهي في هذا التأمل تكون في عزلة عن كل الأشياء عارية عنها جميعا، ولا تسمح أن يكون إلى جانبها شيء آخر.
- الرابعة هي أن الطائر يغني برقة شديدة وهو حال الروح ساعة العزلة، لأن التكبيرات التي تقدمها تنطوي على حب بالغ الرقة؛ وهي لذينة جدا بالنسبة لها، ولا تقدر بثمن في جناب الله.
- والخامسة هي أن الطائر ليس له لون محدد، وهكذا تكون الروح الكاملة، التي ليس لها في هذا الشأن أي لون من الود الحسي والحب الخالص، ولا أي اعتبار خاص فيما هو أعلى أو أدنى، ولا تستطيع أن تتحدث عن ذلك على أي نحو كان.

يشبه القديس يوحنا الصليبي الروح بطائر، وهو رمز لا يرجع إلى الثقافة الإسلامية وحدها، كونه موجودا في مصر القديمة، وعند أفلاطون في محاورته لفيدون، لكن أثر الإسلام يتمثل في خصائص هذا الطائر، التي تعود إلى التراث الأدبي لمتصوفة الإسلام، وإذا ما رجعنا إلى التراث نجد أن ابن سينا هو من بدأ مسلسل الطير في رسالته "رسالة الطير" وهي حكاية يمثل فيها الصوفي مجازيا بواسطة طائر يمضي في الفضاء الكوني حتى يصل إلى الطائر الملك الذي هو أصله النهائي، وكتب الغزالي رسالة بنفس العنوان، وسمى فريد الدين أبو حامد الملقب بختم العطار رسالته "منطق الطير".

يقترّب يوحنا الصليبي كثيرا من العطار، ففي الخاصية الثانية ليوحنا يتحدث عن توجيه طائرته لمنقاره إلى حيث يأتي روح الحب، والعطار جعل القاص يأمر الطيور برفع منقارها قائلا: «أيها الولي، ارفع رأسك واطهر نايك (كناية عن المنقار)»⁹.

أما في الخاصية الثالثة ليوحنا التي يتحدث فيها عن وحدة الطير وعزلته، فيقترّب من السُّهْرُورْدِي في قوله: «الكل مشغول به وهو متحرر من الكل، والكل مملوء به، وهو خال من الكل»¹⁰، وفي الخاصية الرابعة يذكر يوحنا أن طائرته "يعني برقة شديدة"، وطائر العطار هو الآخر يعني برقة «...أظهر نايك (كناية عن المنقار) وارفع صوتك احتفالا بمعرفة الله» أما الخامسة فهو "طائر ليس له لون محدد"، وهي ذات الصفة عند السُّهْرُورْدِي، في قوله: «يحتوي على كل الألوان لكنه بلا لون»¹¹ فلاحظ أن كل الخصائص التي ذكرها يوحنا الصليبي هي خصائص مستمدة من التراث الإسلامي، وعلى الرغم من محاولات الأستاذة "ماريا روسا ليذا" في رد أصل الطائر إلى البلبل اليوناني والروماني، إلا أن ملامحه الإسلامية بادية في كل تفاصيله.

2.4 رمز القلاع السبعة عند القديسة تريسا دي خيسوس:

يرى الباحث جاستون إتشيجوين في دراسته لرمز القلاع السبعة، أن المصادر الأساسية لتريسا تعود إلى برناديو دي لا ريدو، وفرانثيسكو دي أوسونا، إلا أنها لا تتفق معهما إلا في رمز القلعة، فبرناردو في قصيدته الحب، يشبه القلعة المجازية ببطن مريم عليها السلام، والفرق واسع بينهما؛ إذ لا يتفقان إلا في فكرة القلعة، واستعارة القلاع منتشرة في الثقافة الغربية، فداني في رسالته "Mobile castella sette volte cerchiato d'altre mura" يستخدم فيها رمز القلاع، وهو واضح من كلمة "castella"، والبيان أن تريسا تستمد خصائص قلعتها من التراث الإسلامي، فعلى الرغم من أن لوثي لوبيث لم تذكر نص تريسا كاملا مثلما ذكرت نص يوحنا الصليبي، إلا أن ملامح التشابه بارزة في قولها: «الروح تظهر لها على شكل قلعة البلور الصافي، أو الماس مكونة من سبع مقامات تبدو كل منها، في آن، سبعة قصور، أو قلاع متمركزة، وفي القصر الأخير نجد الله عز وجل، تتحد معه الروح تاركة الشيطان وراءها»¹² والنص ذاته من كتاب النوادر لمؤلف مجهول يقول فيه: «لقد جعل الله لكل بني آدم سبع قلاع، يوجد هو في وسطها والشيطان خارجها» وهي نفس الصورة عند أبي الحسن النوري البغدادي في كتابه "مقامات القلوب" يقول فيه: «ينبغي أن تعرف أن الله عز وجل خلق في قلب المؤمنين سبعة حصون تحيط بها أسوار وجدران، وقد أمر المؤمنين بأن يظلوا داخل هذه الحصون، وجعل الشيطان في الخارج»¹³.

وعلى الرغم من تغيير تيريسا للمواد الأولية للقلاع، فهي تشبه قلاعها بالماس والبلور، في حين يشبهها النوري بالياقوت والذهب، إلا أنها حافظت على فكرة التدرج الروحي؛ كلما ارتفعت الروح ارتفعت جودة القلعة، وفي القلعة الأولى والسابعة تتفق تيريسا مع المسلمين، ففي القلعة الأولى تتطهر الروح، وفي السابعة تتحد مع الله، كما أن رقم سبعة في حد ذاته مستمد من القرآن الكريم، ما يجعل أوجه التشابه جلية تدل على تأثير تيريسا بالثقافة الإسلامية، فالمسلمون هم الذين تبنا هذه الصورة، وكرروها على امتداد أديم الصوفي، وهم -وحدهم- أصحاب الفضل في استكمال مجاز القلاع السبعة، التي اعتقد الغربيون أن مخترعته هي صاحبة العبقريّة تيريسا دي خيسوس.

3.4 رواية مقبرة خوان جويتيسولو:

يُعتبر الكاتب الإسباني خوان جويتيسولو، من المنتمين إلى المدرسة الجديدة الداعية إلى الإقرار بفضل الأدب العربي على الأدب الإسباني، معتبرا الأثر الإسلامي سمة تميز إسبانيا عن غيرها من الثقافات الأوروبية، يقول معبرا عن ذلك: «أعتقد أنه قد حان الوقت بالنسبة لأي إسباني في القرن العشرين أن ينظر إلى ماضيه بدون عقد، وينظر إلى أن اختلافه الثقافي ليس عيبا وإنما هو ثروة، فهذا الذي يجعلنا نختلف عن أوروبا، يجب أن نفتخر به، وأعتقد أن المراجعة النقدية التي قام بها أميريكو كاسترو، وآسين بلاثيوس، هي التي فتحت عيوننا على كثير من الموضوعات حول أهمية الثقافة العربية التي قدمها لنا»¹⁴.

لم يتورع خوان جويتيسولو في التعبير عن تأثره بالموروث الثقافي العربي، ففي كلمة ألقاها في بروكسل عام 1985م، عند تسلمه لجائزة الأدب الأوروبي، يعبر فيها عن حبه لابن عربي، وأبي نواس، وابن حزم، وابن الرومي، فكان من الطبيعي أن تبرز هذه الملامح في أعماله الأدبية، ففي رواية مقبرة نلاحظ تأثر جويتيسولو بقصاصي حلقات الأسواق، والغزليين على رأسهم ابن حزم القرطبي، وتأثر خوان تجاوز التأثير الموضوعي إلى التأثير الفني في توظيفه لتقنيات التفسخ، وإهمام عملية السرد؛ أي الانتقال من قصة إلى قصة دون رابط، وهو ما وظّفه ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، يظم فيه مجموعة من الأقاصيص يحكي فيها الراوي بعض أحوال الغرام دون أي رابط بينها، وجاء في البناء الدائري الغامض لألف ليلة وليلة، والتركيبية غير التامة في المقامات العربية.

هذا وتتطبع سمات القصص الشفهي على أسلوب جويتيسولو، موظفا إيقاع البحور الشعرية العربية، والسجع، ما يعطيها طابعا إنشاديا يوازي قصص حلقات الأسواق المغربية، وكثيرا ما يوظف كلمات عربية في رواياته، ففي رواية "خوان دون أرض" يختتمها بقوله: «يا من لا تفهمون، لا تتبعوني، فالصلة بيننا قد انقطعت، على الجانب الآخر أنا - إلى غير رجعة - مع المنبوذين دائما أشحذ طرف سكين»¹⁵، أما الجانب الموضوعي، فحاول في رواية مقبرة التهكم من الرؤية المركزية للغربي، ونظراته الدونية للعربي، مستمدا فكرته الأساسية من إدوارد سعيد في كتاب الاستشراق، الذي تحدّث فيه عن الصورة القبيحة والمتلوية التي تشكلت خلال قرون لدى

الغربيين عن الشرقيين، والتي أسهم فيها كُتاب مثل جوته، وهوجو، ولامارتين، وفلوبير، ومستشرقون أمثال لويس ماسينيون، وألكسندر جيب، فَوَلَعُ خوان جويتيسولو بالثقافة العربية، واستفادته منها بارزة إلى درجة تجعله جزءا منها، وهو ما عبّر عنه خوسيه ميغيل أبيدو في "نقطة روائية ميتة" إذ يقول: «يبدو أن التصاق الكاتب اللغوي والعاطفي بالعالم العربي، قد وصل إلى درجة يتعذر معها إدراجه في عداد الأصوات الأدبية الإسبانية»¹⁶.

وقد بات جليا من خلال عرض بعض فصول هذا الكتاب، أن للأدب العربي فضلا على روائع الأدب الإسباني بداية من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو؛ أي من سنة 1350م إلى 2017م، ما يجعلنا نستنتج أن جزءا كبيرا من أصالة الكتاب الإسبان لا تتمثل في اختراع هذه المخيلة الإسلامية المتقنة، وإنما في دمجها بطريقة فريدة في أعمالهم الأدبية نفسها.

5. الاستنتاج:

بناء على ما سبق، نستنتج صحة الفرضيات التي بدأ بها البحث؛ فأرنا هجرة الشخصيات العربية واتسامها بطابع أوروبي، فكانت ليلي العربية هي إلسا الفرنسية، وكان عنترة العربي هو عطيل الإنجليزي، وحي بن يقظان روبنسن كروز، كما مثلت قصص الأدب العربي نواة لأعظم الأعمال الأوروبية واللاتينية؛ فالطائر الروحي ليوحنا الصليبي هو طائر فريد الدين العطار والسهورودي، وقلعة تريسا هي قلعة أبي الحسن النوري البغدادي، ولم يقف التأثير عند هذا الحد بل بدا ولعهم بأساليب القص العربي وتراكيبه، فتأثر جويتيسولو بتقنية التفسخ وإيهام عملية السرد والبناء الدائري، وتأثر بوكاشيو بالإطار الحكائي والحكايات الداخلية، ما جعلنا نرى امتداد أثر ضارب في أعراق تاريخ الأدب الغربي من 1350 إلى 2017.

6. خاتمة:

على الرغم من الجهود المبذولة من قبل الكثير من المستشرقين في محاولتهم لطمس دور الثقافة العربية أمثال أورتيجا إيجاست، ورامون مينديث بيدال، وسعي ريشارد بورتون، ولويس ماسينيون، وألكسندر جيب في تشويه صورة العربي، إلا أن تأثيرها جلي لا ينكره إلا حاقدا، ما يوضح القيمة التي بلغتها الثقافة العربية في عهدها السابق، وهو ما يدل-يقينا- أننا نملك مرجعا رصينا لا يحتاج منا إلا السعي في مراجعته وتطويره، والاستفادة منه كما استفادت منه الأمم الغربية، وقد جاء هذا البحث محاولة لتتبع جزء من دور أثر الأدب العربي في الآداب اللاتينية عموما، متوصلا إلى النتائج التالية:

- بلغت الثقافة العربية في حاضرة الأندلس مستوى منقطع النظير جعل منها المصدر الرئيس للتعليم الجديد لأوروبا.

- رسوخ اللغة العربية بتأثيرها القوي في النفوس جعلها تقاوم محاولات محاكم التفتيش لطمسها؛ إذ بقيت أكثر من 8000 كلمة، وأكثر من 2300 اسم مكان، ومازالت تسميات أيام الأسبوع مستمدة من التقسيم الفلكي لإخوان الصفا.
- تأثير شعر الغزل في نشأة شعر التروبادور، وخلق روح الرومانسية في الأدب والفن الفرنسي.
- تأثير ميغيل دي سارفتاس بأسلوب السخرية عند العرب مستمدا فكرة قصة دون كيشوت من مخطوط عربي.
- تأثير لويس أرغون بحكايات مجنون ليلي، التي ألهمته فكرة ديوان مجنون إلسا، فانطبع أسلوب قيس بن الملوح على أسلوبه.
- تأثير شكسبير في مسرحية عطيل بقصة عنترة بن شداد، كما تأثر دانيال ديفو في قصة روبنسون كروز بحبي بن يقظان، واعتبرها المستشرق الإنجليزي كلوفيد إدموند أعمق عمل فلسفي أثر في الفكر الإنجليزي.
- يعتبر آسين بلاثيوس من أوائل المستشرقين الإسبانين اهتماما بأثر الإسلام في الأدب الإسباني، وصاحب أول دراسة في أثر رسالة الغفران في كوميديا دانتي.
- يمثل كتاب أثر الإسلام للوثي لوبيث واحدا من أكثر الكتب دراسة لملامح الثقافة الإسلامية في أعمال كبار الكتاب الإسبانين.
- مثل الإبداع العربي مصدرا لإلهام الكتاب الإسبانين، فاستمد يوحنا الصليبي فكرة طائره من أبي حامد العطار، والسُّهُرُورْدِي، واستمدت القديسة تيريسا خصائص قلعتها من أبي الحسن النوري البغدادي، وصاحب كتاب النوادر، وأخذ جويتيفيلو خصائص روايته من طوق الحمامة لابن حزم، ومنشدي الحلقات.
- استخلص بوكاشيو هيكل حكايات الليالي العشر من ألف ليلة وليلة، معتمدا على فكري حكاية الإطار، والحكايات الداخلية، مستمدا موضوعات حكاياته من التراث العربي كحاتم الطائي، وجحا.
- امتداد أثر الأدب العربي إلى قارة أمريكا، فجاءت رواية الدفن قبل الأوان لإدغار آلان بو وصفا بحثا للثقافة العربية.
- تعتبر رواية الخيميائي سردا مطولا لحكاية الحالمين من ألف ليلة وليلة لم يغير فيها باولو كويلو إلا أسماء الأماكن والشخصيات، مستمدا أفكار التوسيع من عجائبية ألف ليلة وليلة، ومن الرؤية الصوفية لابن عربي.

7. الهوامش:

- ¹ - Fernand Salzmman,(2016) «"Le Fou d'Elsa", poème arabe d'Aragon». conférences de la faculté des lettres de l'Université Genève, faculté Genève, 16.11.2016, Genève, p09.
- ² - Fernand Salzmman, « Le Fou d'Elsa, Poème arabe d'Aragon », p12.-
- ³ - آري جون، (1943م). «تأثير الأدب العربي على الأدب الإنجليزي». الأديب، بيروت، العدد الثالث، ص 31.
- ⁴ - سلوم داود، (2008). «أثر الأدب العربي في كتاب الديكاميرون لبوكاشيو الإيطالي». المورد، العراق، العدد الثالث، ص 60.
- ⁵ - كويلو باولو: الخيميائي، 2018، ط38. بيروت، شركة المطبوعات، ص 13-14.
- ⁶ - كويلو باولو: الخيميائي، 19-20.
- ⁷ - كويلو باولو: الخيميائي، 190-191.
- ⁸ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، 2000م ط01. القاهرة، ص: 51.
- ⁹ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 139.
- ¹⁰ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 135-136.
- ¹¹ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 140.
- ¹² - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 156.
- ¹³ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 172.
- ¹⁴ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 17.
- ¹⁵ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 365.
- ¹⁶ - لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، ص: 367.

7. قائمة المراجع:

قائمة المراجع:

- كويلو باولو: الخيميائي، 2018، ط38. بيروت، شركة المطبوعات.
- لوبيث لوثي: أثر الإسلام في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيسولو، 2000م ط01. القاهرة.

قائمة المجلات والموسوعات :

- آربري جون، (1943م). «تأثير الأدب العربي على الأدب الإنجليزي». الأديب، بيروت، العدد الثالث، 76-64.
- سلوم داوود، (2008). «أثر الأدب العربي في كتاب الديكاميرون لبوكاشيو الإيطالي». المورد، العراق، العدد الثالث، 70-44.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

Fernand Salzmann,(2016) «Le Fou d'Elsa, Poème arabe d'Aragon ». conférences de la faculté des lettres de l'Université Genève, faculté Genève, 16.11.2016, Genève, p1-19.